القــراءات القرآنية في كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس

د. جبار سويس حنيحن الذهبي

المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد/ الرصافة /2

الملخص:

علم القراءات هو لم يُعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزُوّاً إلى ناقله، وقد بارك الله تعالى القرآن الكريم وأنزله بلسان عربي ، فأخذ سمة اللغة العربية وأساليبها ، إذ أن اللغة مجموعة من الألفاظ تحكمها قواعد وقوانين عدة؛ منها القواعد الصرفية، والنحوية، والصوتية، والدلالية، والمعجمية، والقراءات هي صورة متعددة للألفاظ القرآنية تخضع إلى هذه القواعد.

المقدمة:

الحمد لله الَّذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والحمد لله الذي جعله للعالمين هادياً ليخرجهم من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على عبده ونبيه، الذي نزل القرآن الكريم بلسانه، لساناً عربياً مبيناً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المبلّغ الأمين،وعلى آله الطاهرين، وصحابته المنتجبين وسّلم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

فإن الحد المعروف لعلم القراءات هو أنه علم يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزُوّاً إلى ناقله(1). والقرآن الكريم كلام الله تبارك وتعالى أنزل بلسان العرب فأخذ سمت لغتها وأساليبها، واللغة –كما هو معلوم–

مجموعة من الألفاظ تحكمها قواعد وقوانين عدة؛ منها القواعد الصرفية، والقواعد النحوية، والقواعد الصوتية والدلالية والمعجمية، والقراءات بوصفها صور متعددة للألفاظ القرآنية تخضع –بلا شك– إلى هذه القواعد. ومن هنا تنشأ العلاقة بين علم القراءات الذي يعنى –كما أشرنا– بكيفية أداء الكلمات، وقواعد اللغة، ولاسيما القواعد النحوية، فمما لاشك فيه أن هناك علاقات قوية تربط بين علمي النحو، والقراءات القرآنية؛ منها أنه لا يجوز للنحوي أن يترك الاعتناء بالقراءات التي هي مصدر الاحتجاج الأول " فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترًا أم أحادًا أم شاذًا(2) " ، وكذا القارئ ينبغي أن يحصل جانبًا من النحو والصرف بحيث إنه يوجه ما وقع له من قراءات".(3)

ومن هنا جاءت عناية علماء العربية بالقراءات، ومن الجدير ذكره هنا أن أغلب هؤلاء العلماء هم في عداد القراء أو من رواة القراءات، أمثال أبي عمرو بن العلاء (ت 157هـ)، والكسائي (ت 189هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت265هـ)، والفراء (ت 207هـ)، والأخفش (ت 211هـ)، وأبي عبيدة (ت 210هـ)، وآخرين. ومن أجل ذلك كانت كتب هؤلاء العلماء ولاسيما كتب إعراب القرآن ومعانيه منها زاخرة بالقراءات ورواتها، وصحيحها وشاذها، وأحوال سندها وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بعلم القراءات، لذا فلا غرو أن يضم كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت338هـ) بكل ما ذكرنا من أعداد القراءات وأصحابها، وهذا ما ستطلعنا عليه أوراق بحثنا اليسير بعون الله تعالى.

التعريف بصاحب الكتاب :

قبل الخوض في كتاب إعراب القرآن والبحث فيه عن القراءات القرآنية وقرائها، رأينا أن نضع تعريفا موجزا بصاحب الكتاب، والتعرف إلى مولده ووفاته، وأساتذته وكتبه، وهو مما عددناه من الأمور التي قد تعيننا –

ولاسيما معرفة أساتذته- على معرفة سبب عناية النحاس في القراءات فضمنها كتبه كلها، فمن هو النحاس؟ ونأخذ هنا بعض ما أورده السيوطي (ت911هـ) عنه اختصارا، فقد ذكر في بغية الوعاة أنه أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بابن النحاس أبو جعفر النحوي المصري من أهل الفضل الشائع. والعلم الذائع. رحل إلى بغداد وأخذ عن الأخفش الأصغر (ت 315هـ)، والمبرد (ت 286هـ)، ونفطويه (ت 323هـ) والزجاج (ت310هـ)، وعاد إلى مصر وسمع بها النسائي (ت 303هـ) وغيره، وصنف كتبا كثيرة. منها: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والكافي في العربية، والمقنع في اختلاف البصريين والكوفيين، وشرح المعلقات، وشرح المفضليات، وشرح أبيات الكتاب، والاشتقاق، وأدب الكتاب وغير ذلك. وقلمه أحسن من لسانه وكان لا ينكر أن يسأل أهل النظر ويناقشهم عما أشكل عليه في تصانيفه.

وورد في وفاته أنه كان جالساً على درج القياس بالنيل -وهو عمود من الرخام يقاس به منسوب مياه نهر النيل- يقطع شيئاً من الشعر فسمعه جاهل فقال: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد ماؤه فدفعه برجله فغرق، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة للهجرة.

وعدّه أبو عمرو الداني (ت 444هـ) في طبقات القراء فقال روى الحروف (القراءات) عن أبي الحسن أبن شنبوذ (ت328هـ)، وأبي بكر الداجوني (ت324هـ)، وأبي بكر بن يوسف (ت337هـ)، وسمع الحسن بن عليب (ت290هـ)، وبكر بن سهل الدمياطي (ت289هـ). (4)

القراءات القرآنية عند أبي جعفر النحاس

تشير المصادر التي تحدثت عن أبي جعفر النحاس أنه أولى عناية كبيرة بكتب القراءات القرآنية، إذ كان يعتمد اعتمادا واسعا على القراءات في كل ما ألف من كتب، ولعل مردّ ذلك إلى ثقافته الواسعة في هذا العلم، فضلا عن كونه معدودا عند بعض مؤرخي القراءات من القراء؛ فقد نقل الداوودي،

والسيوطي عن الداني قوله أنه منهم –أي القراء–، فقد جعله السيوطي –وكما أشرنا آنفاً– في بغية الوعاة في طبقات القراء؛ قال: "روى الحروف عن أبي الحسن بن شنبوذ وأبي بكر الداجوني وأبي بكر بن يوسف"(5). وليس هذا بالأمر المستغرب عنه، فقد كان من بين شيوخه عدد كبير ممن عرف بعنايته بعلم القراءات القرآنية، فقد أشار ابن الجزري (ت 838هـ) إلى أسماء عدد من شيوخه الذين أخذ عنهم القراءات، منهم: ابو بكر النجيبي (ت 307هـ)، وأبو الحسن الباهلي (ت 314)، وأبو بكر المرزوي (ت300هـ). (6)

ولعل هذا ما يفسر كثرة استشهاده في كتبه بالقراءات القرآنية، ولاسيما كتابه (إعراب القرآن) الذي جعله سجلا للقراءات وأصحابها، فضلا عمَا ورد في كتبه الأخرى مثل القطع والإئتناف، وكتابه معاني القرآن، وأيضا كتابه شرح المعلقات الذي لايخلو من ذكر كثير من القراءات حين الاستشهاد ببعض النصوص القرآنية التي ترد فيها هذه القراءات.

وحين ننعم النظر في طريقة عرضه القراءات نجد أن له أسلوبا يتمثل في استقرائه آراء القراء كل في قراءته، مع ذكر سلسلة الأسانيد التي نقلت روايات هذه القراءة أو تلك، ويمارس على تلك الروايات عملية نقدية تتمثل في رده بعض القراءات، أو تضعيفه روايات أخرى، أو قبوله بعض منها وتأييده لها، أو ترجيحه قراءة على قراءة أخرى. وقد أشار إلى عنايته واهتمامه بالقراءات في مقدمة كتابه (إعراب القرآن)، حين وصف الكتاب بالقول: "هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله إعراب القرآن والقراءات التي تحتاج أن يبيّن إعرابها والعلل فيها ولا أخليه من اختلاف النحويين وما يحتاج إليه من المعاني وما أجازه بعضهم ومنعه بعضهم وزيادات في المعاني وشرح لها..." (7).

وفي كتابه الآخر (القطع والإئتناف)، جعل في مقدمته بابا أسماه (باب ذكر الأسانيد لما في هذا الكتاب)، أشار فيه إلى عدد من القراء وتسلسل روايته عنهم، وأكثر هؤلاء ممن عرف بالاشتغال باللغة والنحو، من بينهم عدد من

القراء السبعة، مثل، الكسائي، وأبي حاتم السجستاني، والفراء، والأخفش، وأبي عبيدة، ونافع، ومحمد بن سعدان وأخرين ممن اشتهروا بهذا العلم. والملاحظ أن النحاس لايكتفي عند حديثه عن القراءة بذكر اسم صاحبها، بل يتعدى ذلك إلى ذكر تسلسل رواتها، وأنه في كثير من الأحيان لايقتصر على ذكر قراءة واحدة وإنما يحاول الإحاطة بكل القراءات التي وردت في موضع القراءة (8). ومن أدلة ذلك ما ورد في باب الأسانيد من كتابه (القطع والإئتناف) من رويات منها قوله: "كل ما قلنا قال نافع، فإذا كتبناه عن أبي جعفر أحمد بن عبدالله بن محمد بن هلال المقرئ، يرويه عن إسماعيل بن عبدالله المقرئ، وأشعث بن سهل عن أحمد بن محمد بن سقلاب عن نافع بن أبي نعيم"(9).

والناظر في كتابه (إعراب القرآن) يجد هذا الأمر بكثرة وبلا عناء، فقد أكثر من روايته القراءات وتتبع سندها منذ بداية إعرابه أم الكتاب، حتى آخر آية في كتاب الله العزيز، ومثال ذلك قوله في قراءة (الحمدِ للهِ) بكسر الدال "روى إسماعيل بن عياش عن زريق عن الحسن أنه قرأ (الحمدِ للهِ)" (10)، وعلى الرغم من شهرة القراءة عن الحسن البصري إلا أنه لم يكتفِ بذكر صاحبها على شهرتها، وإنما آثر إلا أن يسير على منهجه في ذكر سلسلة سند الرواة.

ومنهج النحاس هذا جعله لايطمئن إلى أي قراءة على الرغم من أنه نقل الروايات في القراءات كلها، ما لم يتبين قوتها أو ضعفها، فهو في هذا –كما يقول د. أحمد خطاب العمر– "لم يبعد كثيراً عن مواقف البصريين من القراءات، فللبصريين، أوقل لسيبويه والمبرد قراءة يقيسون فيها على ركن صحتها في العربية، أكثر من قياسهما على الركنين الآخرين وهما موافقتها خط المصحف وصحة سندها، وكانا يرويان تلك القراءات وكذلك فعل أبو جعفر النحاس"(11).

والمتتبع منهج النحاس يجد أنه وإن اعتمد قراءات القراء السبعة؛ نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي عمرو بن العلاء، وعبدالله بن

عمر، اعتمد أيضا على قراءات غيرهم من مثل: الأعمش، وابن محيصن، والحسن البصري، واليزيدي، وابن مقسم، واستاذه في القراءات ابن شنبوذ، الذي يبدو أن له تأثيرا في اعتماد النحاس على قراءات هؤلاء القراء، إلا أن هذا التأثير لم يمنع النحاس من نقد هذه القراءات؛ فكثيرا ما كان يردّ عددا منها؛ فهو تارة يأخذ بها، وكثيرا ما يضعف عدداً آخر، وتارة يرى أن هذه القراءة أو تلك مردودة كونها غير موافقة للمصحف الذي عليه الجماعة، أو أن في هذه القراءة لحن هنا، أو غلط من القارئ، أو هذه قراءة على التفسير، وهو أيضا لايكتفي بالتعليق على هذه القراءات، وإنما يجد العلة في رده هذه القراءة أو تلك ويذكر السبب، ويستعين بقراءة أخرى ليوضح موقفه من القراءة، ويبين الأسباب التي دعته إلى ردّها. (12)

وهنا لابد لنا من الإشارة إلى بعض صور عرضه القراءات في كتابه إعراب القرآن، وإشاراته لأسماء قرائها، وردوده عليها. فمن بين ما ذكره من قراءات ما ورد في الآية (26) من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(13)، فبعد أن ذكر اللغات في كلمة (يستحيي)، وأن لغة تميم وبكر بن وائل أنها بياء واحد، ذكر القراء الذين قرؤوها بياء واحدة، قال: "هكذا قرأ ابن كثير وابن محيصن وشبل وفيه قولان؛ قال الخليل: أسكنت الياءالأولى كما سكنت في (باع) وسكنت الثانية لأنها لام الفعل، قال سيبويه، وقال غيره: لما كثر وكانتا ياءين حذفوها وألقوا حركتها على الحاء"(14).

ونرى أن النحاس لايكتفي بذكر هذه القراءات والآراء وإنما يرد على أقوال الخليل وسيبويه، يقول: "شرح قول الخليل أن الأصل استحيى فأعلّه من جهتين أعلّ الياء الأولى كما يقال: استباع وأعلّ الثانية كما يقال: يُرمى فحذف الأولى لئلا يلتقي ساكنان، وهذا بعيد جدا لأنهم يجتنبون الإعلال من جهتين.

والقول الآخر هو قول سيبويه سمعت أبا إسحاق يقول: فإذا قال سيبويه بعد قول الخليل: وقال غيره فإنما يعني نفسه، ولايسمي نفسه بعد الخليل إجلالاً منه له، وشرح قول سيبويه أن الأصل: استحيى كثر استعمالهم إياه فحذفوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء فأشبه افتعل نحو اقتضى فصرفوه تصريفه فقالوا: استحيى يستحيي"(15).

والملاحظ هنا أيضاً أن النحاس أبعد قول الخليل واطمئن إلى قول سيبويه الذي يبدو أنه ارتضاه. وفي حديثه عن قوله تعالى (مثلاً ما بعوضةً) يتحدث عن أوجه النصب في القراءة الصحيحة التي عليها الجمهور، مستشهداً بآراء العلماء منهم الكسائي والفراء، من ثم يذكر قراءة الرفع المنسوبة إلى رؤبة التي تعد من القراءات الشاذة كونها مخالفة لقراءة الجمهور(16)، يعرضها ثم يبين ما فيها من شذوذ أو (قبح)، وإن لم يسمها بالشاذة، يقول: "وحكى أنه سمع رؤبة يقرأ (إن الله لايستحي أن يضرب مثلا ما بعوضةٌ) بالرفع وهذه لغة تميم، جعل (ما) بمعنى الذي ورفع بعوضة على إضمار ابتداء، والحذف في (ما) أقبح منه في الذي لأن الذي إنما له وجه واحد والإسم معه أطول"(17).

ونجد مثل ذلك في إعرابه لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(18)، فبعد أن ذكر إعرابها ورأي الكسائي فيها ذكر القراءة الأخرى للآية بتنكير (هدى)؛ يقول: "وقرأ عاصم الجحدري وعيسى وابن أبي إسحاق (فمن تبع هُدَيّ)، قال أبو زيد : هذه لغة هذيل يقولون: هُديّ وعصيّا"(19). ولم يقف عند هذا الحد فنراه يأتي بآراء أعلام العربية لبيان علّة هذه القراءة أو اللغة؛ فيقول: "العلة في هذا عند الخليل وسيبويه وهذا معنى قولهما أن سبيل ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها فلما لم يجز أن تتحرك الألف جعل قبلها ياءً عوضاً من التغيير"(20). وهنا يعلل النحاس هذا الوجه من القراءة من دون أن يشير إلى أنها من الشواذ، في حين نجد أن ابن جني قد عدها في الشواذ، وذكر وجه قلب

الألف ياءً نقلا عن أبي علي الفارسي الذي يوافق قوله، ما نقله النحاس عن الخليل وسيبويه، يقول: "وجه قلب هذه الألف لوقوع ياء المتكلم بعدها- أنه موضع ينكسر فيه الصحيح، نحو هذا غلامي، ورأيت صاحبي؛ فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياءً، فقالوا هذه عصيّ، وهذا فتيّ، أي عصاي وفتاي، وشبهوا ذلك بقولك مررت بالزيدين، لما لم يتمكنوا من كسر الألف للجر قلبوها ياءً، ولايجوز على هذا نقلب ألف التثنية لهذه الياء، فتقول هذان غلاميّ؛ لما فيه من زوال علم الرفع، ولو كانت ألف عصا ونحوها علما للرفع لم يجز فيها عصيّ"(21).

وعلى هذا دأب النحاس فلم يغفل قراءة من دون أن يذكرها حتى وإن تعددت القراءات في الآية الواحدة، ومن ثم يرجح ما يراه الأجود من بينهن، ففي إعرابه لقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(22)، يبدأ القول بالقراءات التي في قوله تعالى: (فنعمّا هي)، فيشير إلى أن "هذه قراءة أبي عمرو وعاصم ونافع، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي (فنعمَاهي) بفتح النون، وروي عن أبي عمرو ونافع بإسكان العين رواه قالون عن نافع"(23). نلاحظ هنا أن النحاس جمع في هذا الجزء من الآية الكريمة قراءتين لستة قراء؛ الأولى منها للقراءة المعروفة وهي بتشديد الميم، والأخرى أقل منها وهي بالتخفيف.

وأيضا حين يذكر أوجه القراءات المتعددة في قوله تعالى: (ويكفِّرُ عنكم من سيئاتكم)، ففضلا عن القراءة المعروفة عن عاصم يعرض القراءات الأخرى، يقول: "قرأ قتادة وابن أبي إسحاق، وأبو عمرو (ونكفّرُ عنكم من سيئاتكم)، وقرأ نافع والأعمش وحمزة والكسائي (ونكفّرْ عنكم)، إلا أن الحسين بن علي الجعفي روى عن الأعمش (ونكفّرَ عنكم) بالنصب. قال أبو حاتم: قرأ الأعمش (فهو خيراً لكم نكفّرْ عنكم) بغير واو جزماً، والصحيح عن عاصم أنه

قرأ مرفوعاً بالنون، وروى عن الحسن وروي عنه بالياء والجزم، وقرأ عبدالله بن عباس (وتكفّرْ عنكم من سيئاتكم) بالتاء وكسر الفاء والجزم، وقرأ عكرمة (وَتُكفَّرْ عنكم) بالتاء وفتح الفاء والجزم. قال أبو جعفر: أجود القراءات (ونكفرُ عنكم) بالرفع هذا قول الخليل وسيبويه، قال سيبويه: والرفع ههنا الوجه وهو الجيد لأن الكلام الذي بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء"(24).

وهنا يذكر ست قراءات لاثني عشر قارئاً، ولم يكتف بذكر القراءات واختلافاتها، نجده يرجح قراءة الرفع اعتماده على حسه اللغوي، وثقافته النحوية الميالة إلى البصريين، معتمدا على رأي الخليل وسيبويه، ومستشهدا بقول الأخير تعضيدا لما ذهب إليه، وليس هذا فقط فقد عاد ليفسر ويوضح القراءات الأخرى من دون أن يمس واحدة منها بالرد والرفض، فيبين دلالاتها بالاعتماد على مواقع إعرابها، يقول: "وأجاز الجزم بحمله على المعنى لأن المعنى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء يكن خيرا لكم ونكفرْ عنكم، والذي حكاه أبو حاتم عن الأعمش بغير واو جزماً يكون على البدل كأنه في موضع الفاء، والذي روي عن عاصم (ويكفرُ عنكم) بالياء والرفع يكون معناه (يكفّرُ الله)، هذا قول أبي عبيد، وقال أبو حاتم معناه يكفرُ الإعطاء، وقرأ ابن عباس (وتكفّرْ) يكون معناه وتكفِّرْ الصدقات. وقراءة عكرمة (ونكفِّرْ عنكم) أي أشياء من سيئاتكم، فأما النصب (ونكفّرَ) فضعيف وهو على إضمار (أنْ) وجاز على بعد لأن الجزاء إنما يجب به الشيء لوجوب غيره فضارع الاستفهام"(25).

ومن القراءات التي أكثر فيها ذكر أوجه القراءات وآراء القراء قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(26)، فقد ذكر في كلمة (تعلمون) الواردة في الآية الكريمة جملة من القراءات، فقال: "(بما كنتم تَعْلَمُونَ الكتابَ) قراءة أبي عمرو وأهل

المدينة، وقرأ ابن عباس وأهل الكوفة (تَعَلَّمُون) بفتح التاء وتشديد اللام أي تتعلمون، واختار أبو عبيدة قراءة أهل الكوفة لأنها تجمع اللغتين والمعنيين لأنهم يعلمون ويدرسون، فخولف أبو عبيد في هذا الاختيار، لأن شعبة روى عن عاصم عن زر عن عبدالله بن مسعود (ولكن كونوا ربانيين) قال حكماء علماء. وقال الضحاك: لاينبغي لأحد أن يدع حفظ القرآن جهده فإن الله جلّ وعز يقول: (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تَعَلّمون الكتابَ وبما كنتم تدرسون)؛ أي فقهاء علماء بعلمكم"(27). والنحاس هنا –كعادته– يسوغ ويفسر هذه القراءات من خلال تأويلها بما يطابق الدلالة التي توحيها، والمعنى الذي أفاده منها، ليقربها إلى الأذهان ولكي تكون أكثر قبولا من لدن المتلقي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النحاس لم يشر عند عرضه للقراءات في هذه الآية إلى قراءة أبي حيوة (تُدْرِسون) بضم التاء وكسر الراء التي ذكرها ابن جني في المحتسب، والتي عدّها من القراءات الشاذة(28)، وهذا مما قد يوحي بعدم التزامه بعرض كل القراءات في الآية الواحدة، وهو خلاف منهجه الذي سار عليه، أو ربما قد تكون هذه على غير الشهرة التي عليها غيرها من القراءات الشواذ فأهملها. ومثلها قراءة قوله تعالى من سورة النساء (أو جاءوكم حصرةً صدوركم) المروية عن الحسن البصري وجماعة(29)، التي لم يرد لها ذكر في إعراب القرآن، فيما هو قد ذكرها في كتابيه معاني القرآن والقطع والإئتناف، وذكر معها تفسير معاني هذه القراءة نقلا عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، وسبب شذوذها –كما يقول: "لأن هذه القراء مخالفة للمصحف الذي عليه الجماعة الذين لايجوز عليهم الغلط"(30).

وهذا الأمر يتكرر مع قراءات شاذة كثيرة قد لاتكون –كما أشرنا آنفا– مشهورة، إلا أنه لم يهمل مثلا قراءة شاذة مشهورة عن الحسن البصري أيضاً، وهي قراءته لقوله تعالى من سورة الشعراء: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾(31)، إذ قرأ قراءة مخالفة لجمهور القراء، يقول النحاس: "وقرأ الحسن (الشياطون)، وهو

غلط عند جميع النحويين... وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هكذا يكون غلط العلماء إنما يكون بدخول شبهةٍ، لما رأى الحسن رحمه الله في آخره ياءً ونوناً وهو في موضع اشتبه عليه بالجمع المُسلّم فغلط... وقد قرأ هو مع الناس (وإذا خلو إلى شياطينهم)، ولو كان هذا بالواو في موضع الرفع لوجب حذف النون للإضافة"(32).

الملاحظ هنا أيضاً أنه ذكر أن هذه القراءة غلط من جهة النحو، ولم يشر إلى شذوذها من وجهة نظر القراءات، لذا اختار أن يضمن تعليق المبرد عليها بوصفه نحوياً، واكتفى أن يختفي خلفه. وهو ما دأب عليه في كتابه (إعراب القرآن)، إذ اعتمد التحليل النحوي في الأعم الأغلب من القراءات التي ضعفها، أو تلك التي خطأها، معتمدا في الغالب على آراء النحويين البصريين، وفي أحيان أخرى على آراء الكوفيين، ولاسيما إذا ما وافقت آراء أئمة النحو البصري، ففي إعرابه للآية الكريمة من سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(33)، يتحدث عن قراءة سعيد بن جبير (إنِ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالَكم) بتخفيف (إن) وكسرها لالتقاء الساكنين ونصب عباداً بالتنوين ونصب أمثالكم؛ قال: " وهذه القراءة لاينبغي أن يقرأ بها من ثلاث جهات إحداها أنها مخالفة للسواد، والثانية أن سيبويه يختار الرفع في خبر (إنْ) إذا كانت بمعنى (ما)، فيقول: إنْ زيدٌ منطلقٌ، لأن عمل ما ضعيف، و(إنْ) بمعناها أضعف منها. والجهة الثالثة أن الكسائي زعم أن (إنْ) لاتكاد تأتي في كلام العرب بمعنى (ما) إلا أنْ يكون بعدها إيجاب كما قال عز وجل (إنِ الكافرون إلا في غرور) "(34).

ويؤيد هذا الرأي من جهة أخرى إكثاره من النقل عن أبي عمرو بن العلاء، إلا أنه وإن كان ميالا إلى النحو البصري، لم يكن على الدوام منتصراً لأبي عمرو بن العلاء في كل آرائه، كما يرى الدكتور أحمد خطاب العمر،

الذي يقول أنه "ينتصر له، فيعلل لما جاء به من قراءات، وتعليلاته هي تعليلات محتملة في اللغة والنحو، ليخرج بقبول روايته أو قراءته... لأنه ينتصر للبصريين من خلال قراءة أبي عمرو"(35). ففي عديد القراءات نراه يرد قراءة أبي عمر بن العلاء حينما لا توافق رأيه، أحيانا بالاعتماد على الآراء التي تخالف رأيه من دون أن يباشر الرد بنفسه؛ وهذا ما نراه في رده قراءة أبي عمرو الآية الكريمة من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾(36)، فقد قرأ أبو عمرو وأهل الحرمين (قال قتلت نفساً زاكية)، في حين أن قراءة الكوفيين (زكيةً)، التي نستشعر أنه يختارها، إذ يقول: "فزعم أبو عمرو أن زاكية ههنا أولى؛ لأن الزاكية التي لا ذنب لها: والذي قتله الخضر صلى الله عليه طفلاً، وخالفه في هذا أكثر الناس، فقال الكسائي والفراء: زاكيةٌ زكيةٌ واحد، وقال غيرهما: لو كان الأمر على ما قال لكان زكية أولى؛ لأن فعيلاً أبلغ من فاعل، ولم يصح أن الذي قتله الخضر كان طفلاً، بل ظاهر القرآن يدل على أنه كان بالغا. يدل على ذلك بغير نفس فهنا يدل على أن قتله بنفسه جائز، وهذا لايكون لطفل، ولا يقع القود إلا بعد البلوغ"(37).

فالنحاس لم يرد قراءة أبي عمر فقط، وإنما أيد قراءة الكوفيين ناقلا آراء أئمتهم فيها، ونرى أن الرأي الذي لم ينسبه إلى أحد بعينه من العلماء واكتفى بنسبته بالقول: (وقال غيرهما)، قد يكون رأيه هو وتعليله اختيار قراءة الكوفيين من دون أن يصرح بنسبة الرأي إليه.

وفي أحيان يرد بنفسه صراحة على تعليلات أبي عمرو لقراءاته، ويذكر مخالفته له، وهذا ما نجده حين يذكر اختلاف التفسيرات في القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾(38)، فقد قرأ أبي عمرو (بين السَّدَّينِ) بفتحتين، وهي أيضاً قراءة أهل مكة،

خلافاً لقراءة أهل المدينة وعاصم (السُّدَّين) بضم الأول وفتح الثاني، ويشير إلى تفسيرات الكلمتين بين الفتح والضم من بينها تفسير أبي عمرو الذي يشير إليه بالقول: "وقال أبو عمرو بن العلاء: السدُّ بالفتح هو الحاجز بينك وبين الشيء، والسُدّ بالضم ما كان من غشاوة في العين، وقال عبد الله بن أبي إسحاق: السدّ بالفتح ما لم يره عيناك، والسدّ بالضم ما رأته عيناك. قال أبو جعفر: هذه التفريقات لا تقبل إلا بحجة ودليل، ولاسيما وقد قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد. ووقع هذا الخلاف بلا دليل ولا حجة. والحق في هذا ما حكي عن محمد بن يزيد قال: السَدّ المصدر، وهذا قول الخليل وسيبويه، والسُدّ الاسم ، فإذا كان على هذا كانت القراءة بالضم أولى، لأن المقصود الاسم لا المصدر"(39).

وعلى هذا فقد خالف النحاس قراءة أبي عمرو بن العلاء، واختار رأي البصريين في التفريق بين الكلمتين متمثلاً برأي المبرد الذي نقله، والذي هو قول إمامي البصرة في اللغة الخليل وسيبويه.

ومع هذا فالنحاس نجده في أحيان يعلل قراءات أبي عمرو المخالفة ويجد لها وجهاً مقبولا، والملاحظ أن هذا لايكون إلا حينما تتفق هذه القراءة أو تلك مع ما يرجحه هو، أو أن تكون بحاجة إلى تأويل دلالي لايمس القواعد النحوية أو اللغوية، فهو حين يعرض القراءات في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾(40)، يعلل قراءة ابي عمرو (ليهب) التي خالف بها قراءة الهمز التي يصفها النحاس بأنها قراءة أكثر الناس وهي الصحيحة عن نافع بن أبي نعيم، ويذكر قول أبي عبيد عن هذه القراءة؛ يقول: "قال أبو عبيد وهذا مخالف لجميع المصاحف كلها، قال: ولو جاز أن يُغيَّر حرفٌ من المصحف للرأي لجاز في غيره. قال: وفي هذا تحويل القرآن حتى لايعرف المنزل منه من غيره"(41).

وعلى الرغم من قول أبي عبيد الذي يرى في هذه القراءة تغييراً لحروف المصحف الشريف وتحويلاً للقرآن الكريم، نجد أن النحاس يوجه هذه القراءة من خلال إيجاد احتمالين لها: "أحدهما أن يريد (لأهَبَ) ثم يخفف

الهمزة، والآخر أن يكون على غير تخفيف الهمزة ويكون معناه أرسلني ليَهَبَ"(42). وهذا مما لايقتصر على النحاس؛ فإننا نجد أن معاصريه ابن خالويه وأبا علي الفارسي قد ذكرا أكثر مما ذكره النحاس من تفصيل وتعليل(43).

الخاتمة

في ختام بحثنا نجد أن لابد من ذكر النقاط التي توصل إليها البحث في منهج أبي جعفر النحاس في تناوله القراءات في كتابه إعراب القرآن، أو في بعض كتبه الأخرى، وأسلوبه الذي تبين لنا من عرضه تلك القراءات ونقده لها:

- إن ثقافة أبي جعفر النحاس الواسعة بالقراءات القرآنية، وكونه معدودا عند بعض مؤرخي القراءات من القراء، جعله يولي عناية كبيرة بكتب القراءات القرآنية، فقد كان اعتماده واسعا على القراءات القرآنية في كل ما ألف من كتب.
- أن للنحاس أسلوبا يتمثل في استقرائه آراء القراء كل في قراءته، فضلا عن ذكره سلسلة الأسانيد التي نقلت روايات هذه القراءة أو تلك، ويقف عند هذا الحد بل يمارس على تلك الروايات عملية نقدية تتمثل في رده بعض القراءات، أو تضعيفه روايات أخرى، أو قبوله بعض منها أو تأييدها، أو ترجيحه قراءة على قراءة أخرى.
- إن أبا جعفر النحاس لايكتفي في كثير من الأحيان عند حديثه عن القراءة بذكر اسم صاحبها، وتسلسل رواتها، بل إنه في كثير من الأحيان يحاول الإحاطة بكل القراءات التي وردت في موضع القراءة.
- اعتماد النحاس على قراءات القراء المشهورين، وتأثره بهم، لم يمنعه من نقد بعض قراءاتهم؛ إذ نراه تارة يأخذ بها، وكثيرا ما يضعف عدداً آخر منها، وتارة أخرى يرى أن هذه القراءة أو تلك مردودة كونها غير موافقة للمصحف الذي عليه الجماعة، أو أن في هذه القراءة لحنا هنا، أو غلطا من القارئ، أو أن هذه قراءة على التفسير، وهو أيضا لايكتفي بالتعليق على هذه القراءات، وإنما يجد في البحث عن العلة في رده هذه القراءة أو

تلك، ويذكر السبب، ويستعين بقراءة أخرى ليوضح موقفه من القراءة، ويبين الأسباب التي دعته إلى ردّها.

- كان النحاس في كثير من تعليقاته، أو ترجيحاته يعتمد على حسه اللغوي، وثقافته النحوية الميالة إلى البصريين، مستشهداً بآراء أئمتها ولاسيما الخليل وسيبويه. فهو حينما يريد ردّ قراءة ما، يعمد إلى وصفها بأنها غلط من جهة النحو، ولا يشير إلى شذوذها، أو ضعفها من وجهة نظر القراءات،
- دأب أبو جعفر النحاس في كتابه (إعراب القرآن) في رده على بعض القراءات على أن يختار تعليقاً لأحد النحويين البصريين –كما جاء كثرة إيراده تعليقات المبرد– ، مكتفياً بالاختباء خلفه، وفي هذا كأنه يقول للقارئ أن هذا الرأي هو ما يوافق ما يذهب إليه.
- اعتمد النحاس التحليل اللغوي في الأعم الأغلب من القراءات التي ضعفها، أو تلك التي خطأها، معتمدا في الغالب على آراء النحويين البصريين، وفي أحيان أخرى على آراء الكوفيين، ولاسيما إذا ما وافقت تلك الآراء آراء أئمة النحو البصري.

الهوامش

---

(1) ينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين، ومرشد الطالبين: 3.

(2) جلال الدين السيوطي، الاقتراح: 51 .

(3) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين:4 .

(4) ينظر : جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: 362/1.

(5) المصدر نفسه: 362/1.

(6) ينظر: د. احمد خطاب العمر، ابو جعفر النحاس: 81.

(7) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 115/1.

(8) ينظر: د. احمد خطاب العمر، ابو جعفر النحاس: 82.

(9) ابو جعفر النحاس، القطع والإئتناف: 99.

(10) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 120/1.

(11) د. احمد خطاب العمر، ابو جعفر النحاس: 83-84.

(12) ينظر: د. احمد خطاب العمر، ابو جعفر النحاس: 84.

(13) البقرة:26.

(14) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 152/1.

(15) المصدر نفسه: 152/1-153.

(16) جعلها ابن جني في القراءات الشواذ، وفي توجيهه لها يرى "أن (ما) هاهنا بمنزلة الذي؛ أي: لايستحي أن يضرب الذي هو بعوضةٌ مثلاً، فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ". ابن جني، المحتسب: 145/1.

(17) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 153/1.

(18) البقرة: 38.

(19) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 165/1-166.

(20) المصدر نفسه: 166/1. وينظر: كتاب سيبويه: 105/2.

(21) ابن جني، المحتسب:158/1.

(22) البقرة: 271.

(23) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 290/1.

(24) المصدر نفسه: 291/1-292.

(25) المصدر نفسه: 292/1.

(26) آل عمران: 79.

(27) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 347/1.

(28) ابن جني، المحتسب: 260/1.

(29) د. عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات القرآنية: 124/2.

(30) أبو جعفر النحاس، القطع والإئتناف: 261. وينظر: أبو جعفر النحاس، معاني القرآن: 155. وينظر أيضاً: أبو العباس المبرد، المقتضب: 124/4-125.

(31) الشعراء: 210.

(32) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 2/503-504.

(33) الأعراف: 194.

(34) ابو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 1/657-658.

(35) د. احمد خطاب العمر: أبو جعفر النحاس: 88-89.

(36) الكهف: 73.

(37) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 2/286.

(38) الكهف: 92.

(39) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 2/293.

(40) مريم: 19.

(41) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن: 2/308.

(42) المصدر نفسه.

(43) ينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع: 336-337. وينظر أيضاً: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة: 5/195-196.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن الجزري، محمد بن محمد (ت 838هـ):

منجد المقرئين، ومرشد الطالبين، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1988م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ):

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

- ابن خالويه، أبو عبدالله الحسين بن أحمد (ت 370هـ):

الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت- لبنان، ط3، 1399هـ- 1979م.

- ابو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل (ت 338هـ):

إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397هـ-1977م.

القطع والإئتناف، تحقيق: د. أحمد خطاب العمر، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1978م.

- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ):

المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي-وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1415هـ- 1994م.

- أبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار (ت 377هـ):

الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، تحقيق: بدر الدين القهوجي وآخرين، دار المأمون للتراث، دمشق–بيروت، ط1، 1404هـ–1984م.

- د. احمد خطاب العمر:

أبو جعفر النحاس، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1988م.

- جلال الدين السيوطي (ت 911هـ):

الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: د. محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1426هـ–2006م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1966م.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ):

كتاب سيبويه، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، ط3، 1408هـ–1988م.

- د. عبد اللطيف الخطيب:

معجم القراءات القرآنية، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1422هـ–2002م.

The Qur'anic readings In book (Eiraab Al-Qur'an) for Abu Ja'far Annahhas

Dr. Jabbar S. Addahabi

Summary

The Qur'an is the word of God, descended language of the Arabs, taking form, methods, and language is the set of words governed by many rules and laws, including morphological rules, grammar, phonetic rules, semantic and lexical. And readings that are multiple images of Qur'anic words are subject to these rules. Hence the relationship between readings, which is concerned with how the words and grammar, especially the grammar rules, so that there is a strong relationship between scientific and Qur'anic readings, including the grammar may not be permissible for readings that are the source of the first protest; all it read it can be invoked in Arabic; whether recurrent, mono, or abnormal: and the reader should get on the side of the grammar and even directed the his readings.

Hence the attention of scientists of Arabic with readings, then most of these scientists are from readers or narrated by readings. And for that she wrote these scientists, especially written expression and its meaning are replete with readings and narrators, and her true and her irregular, their conditions, etc. of the science readings, so it is no wonder that the book the expression of the Qur'an to Abu Ja'far Annahhas everything we prepare readings and their owners, this is what you learn about it through our research, we'll try to find out the importance of readings at Abu Ja'far Annahhas and his views are it.